مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الرابع ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م

المعاني المشتركة بين حروف الجر

الدكتور فاضل صالح السامرائي
الاستاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

هناك معانٍ مشتركة تؤديها طائفة من حروف الجر كالتعليل والظرفية والبدلية والاستعلاء وغيرها .

فالتعليل مثلاً يؤدى باللام وبمن والباء وفي و غيرها .

والظرفية تؤدى بفي والباء وعلى و غيرها .

والاستعلاء يؤدى بعلى والباء وعن ومن وغيرها ، ونحو ذلك .

فهل يكون المعنى المشترك متماثلاً في هذه الأحرف ؟ هل التعليل باللام والباء ومن واحد ؟ وهل الظرفية بالباء وفي وعلى واحدة ؟

وقل مثل ذلك على سائر المعاني .

والذي يبدو لي أن هذه المعاني ليست متماثلة في الأحرف التي تشترك بها بل يبقى لكل حرف خصوصيته في اداء المعنى واليك ايضاح ذلك .

التعليل :

يؤدى التعليل باللام كقوله تعالى : (والانعام خلقها لكم فيها دفء ـ النحل ٥) وقوله : (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ـ الروم ٤٤) وقوله : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ـ هود ١٨ ـ ١٩) .

ويؤدى بالباء نحو قوله تعالى : (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ـ

البقرة ١٠) وقوله : (فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أُحِلَّت لهم – النساء ١٦٠) .

ويؤدى بمن كقوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم – الانعام ١٥١) وقوله : (مما خطيئاتهم أُغرقوا فأدخلوا ناراً – نوح ٢٥) .

ويؤدى بفي نحو قوله تعالى : (لمسّكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم – النور ١٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : (دخلت امرأة النـار في هرة حبستها . . .) وغير ذلك ، فهل معنى التعليل في هذه الأحرف متماثل ؟

الحق انه غير متماثل وان كان المعنى العام واحداً . فالتعليل بالباء غيره باللام غيره بمن وفي . فان لكل حرف من حروف التعليل معنى خاصاً وان كانت كلها تفيد التعليل ولذا لايصح ابدال حرف مكان آخر دوماً . فلايصح مثلاً في قوله تعالى : (وإذ استسقى موسى لقومه – البقرة ٦٠) ان نقـول (واذ استسقى موسى بقومه او في قومه) لأداء المعنى نفسه . ولايصح في قوله تعالى : (سخرها لكم – الحج ٣٧) ان نقول (سخرها بكم أو فيكم أو منكم) . ولايصح في قوله تعالى : (والأرض وضعها للأنام – الرحمن ١٠) ان نقول : (والأرض وضعها على الأنام او في الأنام او بالأنام أو من الانام) لارادة معنى التعليل . ولو كانت المعاني متماثلة لصح ابدال حرف بآخر .

ان التعليل بالباء انما هو بمقابل شيء حصل تقول (عاقبته بذنبه) فالعقاب مقابل الذنب الذي اقترفه صاحبه وهو كأنه عوض عنه أو ثمن له جرى عليه بسببه . قال تعالى : (بل لعنهم الله بكفرهم – البقرة ٨٨) فاللعنة مقابل الـكفر . وقال : (ولهـم عذاب اليم بما كانوا يكذبون – البقـرة ١٠) فالعذاب مقابل كذبهم . وقال : (سنلقي في قلوب الذين كفروا

الرعب بما أشركوا بالله – آل عمران ١٥١) وقال : (انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا – آل عمران ١٥٥) أي مقابل ذاك . وقال : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس – الروم ٤١) فإن ظهور الفساد مقابل ما فعله الناس .

وليست اللام كذلك فان اللام تفيد سبب حدوث الفعل وليست مقابلاً لشيء حصل فأنت تقول(جئت للاستفادة)فالاستفادة ليست مقابل شيء . وتقول(أرسلته لاختباره) فالاختبار ليس مقابلاً لشيء وانما ذكرت سبب المجيء والارسال وتقول (ارسلته لتجربته) و (أرسلته بتجربته) فقد أفادت الاولى أنه ارسله ليجربه والثانية ارسله لأنه مجرب اي مقابل تجربته التي حدثت قبل ارساله .

ان التعليل باللام يختلف عن التعليل بالباء وذلك انالعلة المقترنة بالباء تكون حاصلة قبل حدوث الفعل في الغالب وان الفعل حصل مقابلاً لها ، أما العلة المقترنة باللام فقد تكون حاصلة قبل الفعل وقد تكون مراداً تحصيلها قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) فاللعن مقابل الكفر والكفر حاصل قبل اللعن ، وتقول (جئت للاطلاع) فالاطلاع غير حاصل في اثناء المجيء وانما يطلب تحصيله ، وتقول (جئت لمعالجة فلان) فالمعالجة هي السبب الداعي للمجيء وهي غير حاصلة في اثناء المجيء بل يراد تحصيلها . وقد يكون السبب موجوداً وهو الدافع الى الفعل كقولك (عاقبته لاساءته الى فلان) و (رسب لاهماله) فالاساءة هي سبب العقوبة وهي موجودة قبل العقاب وكذلك الاهمال .

ولذا لايصح تعاقب الحرفين دوماً قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكري طه ١٤) ولاتقول (بذكرى) . وقال : (انما نطعمكم لوجه الله – الإنسان ٩) ولاتقول (بوجه الله) . وقال : (ينبت لكم به الزرع والزيتون – النحل ١١) ولاتقول (ينبت بكم به الزرع) .

ان التعليل بالباء يفيد المقابلة والثمن بخلاف اللام التي تفيد الاختصاص والاستحقاق .

وأما التعليل بمن ففيه معنى الابتداء فعندما تقول (قتله من املاق) يكون المعنى ان القتل صدر من الاملاق وحصل منه فهو مبدأ الفعل . ونحوه (بكى من الألم) و (عض اصبعه من الندم) بمعنى حصل البكاء من الألم وصدر منه . فالندم أسبق من العض ومنه حصل العض ، والألم اسبق من البكاء ومنه صدر البكاء . فالعلة بمن أسبق وجوداً من الحدث .

فـ (من) التعليلية تفيد الابتداء ، والباء تفيد المقابلة ، واللام تفيد الاستحقاق والاختصاص .

تبين مما سبق ان العلة المسبوقة بالباء و (من) موجودة قبل الحدث اما العلة المسبوقة باللام فقد تكون واقعة قبل الحدث وقد تكون مراداً تحصيلها .

وتبين لنا أن التعليل بالباء و (من) مختلفان . فالتعليل بالباء يفيد العوض والمقابلة وأما التعليل بمن فيفيد الابتداء فقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) لايصح منه أن نقول (باملاق) . وقولنا (عض أصبعه من الندم) لايصح ان نقول فيه : بالندم . وقولنا (قعد من الجبن) لايصح ان نقول فيه (قعد بالجبن) لأنه ليس مقابلاً للقعود وانما حصل منه القعود ونشأ منه .

قال تعالى : (وضربت عليهم المسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله – البقرة ٤١) فما حصل هو مقابل كفرهم .

وقد تحسن معاقبة الباء و (من) في تعبير واحد وكل على تقدير معنى فمثلاً قوله تعالى : (مما خطيئاتهم اغرقوا فأدخلوا نارا – نوح ٢٥) المعنى فيه ان الماء دخل عليهم من خطيئاتهم أي جاءهم من هذا المكان كأن الخطيئات

ثغرة دخل منها المساء فهي للابتداء . ولو قلت (بخطيئاتهم اغرقوا) لكان المعنى ان الغرق مقابل للخطيئات كأنهم ادّوا ثمن الخطيئات وهو الغرق . وقال تعالى : (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم – النساء ١٥٣) اي هذا مقابل ذاك فالصاعقة ثمن الظلم ولو قال(من ظلمهم) لكان المعنى أن الصاعقة جاءتهم من موطن الظلم .

فالباء تفيد المقابلة والعوض و (من) تفيد الابتداء . جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « وقد تجيء – يعني من – للتعليل نحو (لم آتك من سوء أدبك) اي من أجله وكأنها ابتدائية لأن ترك الاتيان حصل من سوء الادب » (١) .

واما التعليل بـ (على) ففيه معنى الاستعلاء فاذا قلت (كافأته على احسانه) كان المعنى كأنك وضعت المكأفاة على الاحسان . واذا قلت (عاقبته على اساءته) كان المعنى كأنك جعلت العقوبة على الاساءة اي وضعتها عليها . قال تعالى : (ولتكبروا الله على ماهداكم – البقرة ١٨٥) اي يكون التكبير على الهداية كما تقول (كبّر على النصر) جعل النصر شيئاً يكبّر عليه كما يكون التكبير على الذبيحة ونحوها .

وأما (في) فتفيد الظرفية فقوله تعالى (لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم – النور ١٤) معناه انه جعل العذاب في الافاضة فكأن هذه الافاضة ظرف في داخله العذاب . ونحوه أن تقول (عذبته في فعلته) فكأن الفعلة حلّ فيها العذاب وقد تضمنته واحتوته احتواء الظرف على ما في داخله قال صلى الله عليه وسلم .: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلاهي اطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض) والمعنى دخلت امرأة

(١) الرضي ٢/٣٥٨ .

النار في هذه الفعلة على معنى أن هذه الفعلة ظرف احتوى المرأة وادخلها النـــار .

وقد تتعاقب الحروف كلها في تعبير واحد منها وكل منها على تقدير معنى فمثلاً نحن نقول : اخذته الصاعقة لظلمه وبظلمه ومن ظلمه وفي ظلمه . وكل له معنى .

فأما (اخذته الصاعقة لظلمه) فمعناه ان ظلمه سبب استحقاق العذاب اي استحق العذاب لهذا .

واما (بظلمه) فمعناه انه مقابل ظلمه .

واما (من ظلمه) فكأن الصاعقة اخذته من ذلك المكان اي جاءته ودخلت عليه من الظلم .

واما (على ظلمه) فكأن الصاعقة وقعت على ظلمه .

واما (في ظلمه) فمعناه ان الظلم تضمن الصاعقة واحتواها . والله اعلم .

الظرفية :

تستعمل (في) للظرفية نحو (محمد في الدار) و(الزيت في القارورة) ونحو قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في ايام نحسات – فصلت ١٦) .

ويستعمل الباء للظرفية ايضاً نحو (ولد بالبصرة) ونحو قوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة – آل عمران ١٢٣) وقوله : (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن – الأنبياء ٤٢) .

وقالوا قد تستعمل (على) لذلك نحو قوله تعالى : (ودخل المدينة على

حين غفلة من اهلها – القصص ١٥)- أي في حين غفلة . ونحو قولنا (كان ذلك على عهد الواثق) و (جمع المصحف على عهد أبي بكر) .

فما معنى الظرفية في كل حرف من هذه الأحرف ؟ وهل هي ظرفية متماثلة ؟

ان ظرفية (في) ظرفية تضمن واحتواء ، وظرفية الباء ظرفية ملاصقة واقتران . نقول (الماء في الحب) و (الزيت في القارورة) ولا نقول : (الماء بالحب) ولا (الزيت بالقارورة) لأن الحب يحتوي الماء ، والقارورة تحتوي الزيت . ونقول (دفن في القبر) لأن القبر تضمنه واحتواه قال تعالى : (افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور – العاديات ٩ ، ١٠) ونقول : (كان في السفينة) قال تعالى : (حتى اذا كنتم في الفلك – يونس ٢٢)- لأن الفلك تضمنت من فيها ولا نقول (بالسفينة) .

ونقول (أقام بالبصرة) على معنى الملاصقة والاقتران . فان قلت (اقام فيها) فعلى معنى تضمنته واحتوته . ونقول (ذهب في الناس) أي دخل فيهم فهم احتووه وتضمنوه ولانقول (دخل بهم) على هذا المعنى. ونقول: (أدخلت الخاتم في اصبعي والقلنسوة في رأسي) ولا نقول باصبعي ولا برأسي جاء في (الأصول) : « واعلم ان العرب تتسع فيها – أي في حروف الجر – فتقيم بعضها مقام بعض اذا تقاربت المعاني ، فمن ذلك الباء تقول : فلان بمكة وفي مكة . وانما جازا معاً لأنك اذا قلت (فلان بموضع كذا وكذا) فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع وإذا قلت (في موضع كذا) فقد خبرت بـ (في) عن احتوائه اياه واحاطته به » (١) .

فالباء للملاصقة والاقتران ، و (في) للاحتواء قال تعالى (ينفقون اموالهم بالليل والنهار – البقرة ٢٧٤) وقال : (وهو الذي يتوفاكم

(١) الأحوال ١/٥٠٥ – ٥٠٦ .

بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار – الانعام ٦٠) فجاء بالباء لأن الانفاق مقترن بوقت الليل والنهار وكذلك التوفي بخلاف قوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل – الحج ٦١) فانه جاء بـ (في) لارادة التضمن والاحتواء والدخول فقد جعل النهار ظرفا لليل والليل ظرفاً للنهار كأنه يحتويه اي يدخل فيه فلما كان كذلك جاء بفي بخلاف ما مر فان التوفي لايدخل في الليل ولا الانفاق وانما يقترن الفعل بهذا الوقت فجاء بالباء لارادة المصاحبة والاقتران وجاء بفي للتضمن والاحتواء .

ونقول (نزل بالبئر) و(نزل في البئر) فالاولى على معنى انه نزل بقربها كما تقول : اكلنا بالعين وشربنا بها أي أقمنا بقربها . فان اردت النزول في داخلها فلاتقول الا (نزل في البئر) فالباء للملاصقة وفي للاحتواء .

ونقول (هو ينفق المال بالليل) و (هو ينفق المال في الليالي الحمراء) فان معنى الاولى ان وقت الانفاق هو الليل أي يقترن الحدث بهذا الوقت ويصاحبه .

واما الثانية فعلى معنى انه يُذهبه في الفسوق فجعل الليالي وعاء يرمي فيه المال .

فـ (في) تفيد الولوج والتضمن واما الباء فللاقتران والمصاحبة والملاصقة .

وأما (على) فقد جاءت للظرفية في قوله تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها – القصص ١٥)- أي في حين غفلة كما يقول النحاة .

والحق انها ليست بمعنى (في) تماماً فأن ثمة فرقا بين قولنا (جاءنا على غفلة) و (جاءنا في غفلة) ألا ترى انا نقول (هاجمه في وقت الغفلة) ولا تقول (هاجمه على وقت الغفلة) . ونقول (دخل المدينة في وقت العصر) ولانقول (على وقت العصر) ؟ ولو كانت بمعناها لصح ذلك .

الذي يبدو أن قولنا (هاجمه في غفلة) معناه انه هاجمه وهو داخل في الغفلة وكذلك (جاءه في غفلة) اي جاءه وهو داخل في الغفلة .

وأما (هاجمه على غفلة) فليس معناه انه غارق في الغفلة وانما كان عليها ، اي لم تحتوه ولم تتضمنه فقولك (هاجمه على غفلة) معناه انه انتهز فرصة غفلة عرضت له وهاجمه .

ومثله ما نقوله في الدارجة (جئت على أولها) و (جئت في أولها) و (جئت على اول الصلاة) و (جئت في اولها) فمعنى (جئت في اولها) انك جئت وهم داخلون في اولها ، واما (جئت على اولها) فالمعنى انك استعليت على اولها وشاهدته فالمجيء أسبق .

وتقول (جئت على حين قُتل اسماعيل) و(جئت في حين قُتل اسماعيل) فمعنى الاولى انك جئت مستعليا على الوقت وشاهدت الفعلة ، ومعنى الثانية انك جئت وقد دخلت في هذا الوقت . فالمجيء الاول اسبق وربما لم يشاهد الفعلة في الثانية . ومما يوضح هذا انك تقول (جئت على سفر محمد) و(جئت في سفر محمد) فمعنى الاولى انك جئت وهو متهيء للسفر فشاهدت سفره واما قولك (جئت في سفر محمد) فمعناه انك جئت وهو مسافر ولم تشاهده .

وتقول (دخلت الموصل في حين غرق بغداد) اي دخلتها في هذا الوقت ولم تشاهد غرق بغداد واما (جئت على غرق بغداد) فمعناه انك شاهدته .

فـ (في) تفيد الدخول و (على) تفيد الاستعلاء وليس معناها الدخول .

واما قولهم (كان ذلك على عهد فلان فالظاهر انه يختلف عن قولهم كان ذلك في عهده .

فالذي يبدو أن قولهم (كان ذلك على عهده) معناه ان الحدث مختص بأمر من امور الدولة او بما هو من شأنها كأن تقول (جمع المصحف على عهد ابي بكر) و (بنيت البصرة على عهد عمر) و(فتحت عمورية على عهد المعتصم) كأن العهد حمل هذه الاعمال وقام بها ولاتقول (بنيت داراً على عهد الواثق) ولا (سافرت الى البصرة على عهد المتوكل) لأن ذلك ليس من شأن الدولة .

وأما (في) فهي لعموم الظرفية فتقول (بنيت داراً في زمن المتوكل) و (تزوجت في عهد فلان) و (انتصر الروم على الفرس في عهد الرسول وفي زمن الرسول) لأن الحدث تم في ذلك الوقت ولاتقول على عهده لأنه لم يفعله وهو ليس من شأن حكومته صلى الله عليه وسلم فان عهده لم يتحمل هذه المسألة .

فـ (على) للاستعلاء وذلك انها تفيد ان الحكم اضطلع بالأمر أوهو من شأنه ان يفعله والله اعلم .

الاستعلاء :

اصل الاستعلاء ان يؤدى بعلى وذلك نحو (هو على الجبل) وذكروا انه قد يؤدى ايضاً بالباء وعن والكاف واللام ومن وغيرها وذلك نحو قوله تعالى (من إن تأمنه بقنطار ريؤدّه اليك – آل عمران ٧٤) وقوله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه – محمد ٣٨) وقوله : (ويخرون للاذقان سجدا – الاسراء ١٠٧) وقوله :(ونصرناه من القوم الذين كذبوا – الانبياء ٧٧)- ونحوها . قالوا ان هذه الأحرف بمعنى (على) .

والحق ان (على) هي التي تفيد الاستعلاء على وجه التحقيق اما بقية الاحرف فانه يمكن صرف الاستعلاء عنها أو في الأقل يكون هذا المعنى فيها مشرباً بمعنى الحرف الاساسي واليك ايضاح ذلك .

ان (على) تفيد الاستعلاء حقيقياً كان ام مجازياً ولفظها يدل على ذلك فهي من العلو جاء في (المقتضب) : « على تكون حرف خفض على حد قولك (على زيد درهم) وتكون فعلاً نحو قولك (علا زيدٌ الدابة) و(على زيدٍ ثوب) و(علا زيداً ثوب) والمعنى قريب » (١) .

فمن الاستعلاء الحقيقي قولك (هو على الجبل) و (حمله على ظهره) . ومن الاستعلاء المجازي قولهم (عليه دين) كأن الدين علاه وركبه ولذا تقول العرب : ركبتني ديون « كأنه يحمل ثقل الدين على عنقه او ظهره . ومنه عليّ قضاء الصلاة وعليه القصاص لأن الحقوق كأنها راكبة لمن تلزمه »(٢) . وتقول (هو عليهم أمير)لاستعلائه عليهم من جهة الأمر (٣) فان أمره أعلى وأنفذ من امرهم .

جاء في (كتاب سيبويه) : « أما (على) فاستعلاء الشيء تقول : هذا على ظهر الجبل وهي على رأسه ... وتقول عليه مال وهذا كالمثل كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت عليه فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل »(٤) .

قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء – النساء ٢٤) أي يتولون امرهن وفيه معنى الاستعلاء فان العرب تقول (قام عليه) بمعنى تولى أمره . وتقول (قام به) بمعنى فعله قال تعالى (كونوا قوّامين بالقسط – النساء ١٣٥) وتقول (قام له) أي لأجله قال تعالى : -(يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله – المائدة ٨) ، وتقول (قام عنه) بمعنى انصرف عنه وتقول (قام اليه) بمعنى (قام ذاهباً اليه) ففي (على) معنى الاستعلاء .

وتقول العرب (انت على ضلال) و (انت في ضلال) ، فمعنى

---

(١) المقتضب ٤/٤٢٦ .
(٢) الرضي ٢/٣٧٩ وانظر المقتضب ١/٤٦ .
(١) ابن يعيش ٨/٣٧ .
(٢) سيبوية ٢/٣١٠ .

(في ضلال) انه ساقط في الضلال سقوطه في اللجة أو أن الضلال احتواه احتواء الظرف على ما في داخله . ومعنى (على ضلال) أنه اتخذ الضلال مركباً يقوده الى كل سوء ، جاء في (تفسير الرازي) في قوله تعالى (اولئك على هدى من ربهم – البقرة) : « معنى الاستعلاء في قوله (على هدى) بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه . ونظيره (فلان على الحق او على الباطل) وقد صرحوا به في قوله : جعل الغواية مركباً ، وامتطى الجهل » (١) .

وتستعمل العرب (على) للأفعال الشاقة المستثقلة قال ابن جني : « وقد يستعمل (على) في الافعال الشاقة المستثقلة تقول : قد سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان ، وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان . . . وانما اطردت (على) في هذه الافعال من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء والتفرع فلما كانت هذه الاحوال كلفاً ومشاقّ تخفض الانسان وتضعه وتعلوه وتتفرعه حتى يخنع لها ويخضع لما يتسدّاه كان ذلك من مواضع على ، الا تراهم يقولون : هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما تؤثره و (على) فيما تكرهه » (٢) .

اما الباء في نحو قوله تعالى (من أن تأمنه بقنطار – آل عمران ٧٤) وقولهم فيها ان الباء تفيد الاستعلاء وهي بمعنى (على) بدليل قوله تعالى (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل – يوسف ٦٤) وقول الشاعر :

أربّ يبول الثعلبان برأسه

لقد هان من بالت عليه الثعالب (٣) .

---

(٣) التفسير الكبير ٢/٣٣ .
(١) لسان العرب ١٩/٣٢١ .
(٢) المغني ١/١٠٤ – ١٠٥ .

فالحق ان المعنى مختلف فقولك (أمنته به) يختلف عن قولك (أمنته عليه) فقولك (لا آمنه عليك) معناه لآمنه ان يحيف عليك او يهجم عليك او يتعدى عليك وما الى ذلك ففيه الاستعلاء والتسلط والعدوان .

واما قولك (لا آمنه بدرهم) فمعناه لآمنه من ان يتصرف به أو يعبث به لأن (على) تفيد الاستعلاء و (الباء) تفيد الالصاق والمعنى انه لايلتصق أمنه بدرهم بل ستفارقه امانته ويتصرف به

فأمنه عليه تستعمل للهجوم والاعتداء وأمنه به تستعمل للتصرف كما ذكرنا .

ولذلك والله اعلم استعمل القرآن (أمنه على) مع الاشخاص و (أمنه به) مع الأموال . فقال : (قالوا يااباانا مالك لاتأمنّا على يوسف – يوسف ١١) وقال : (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل – يوسف ٦٤) . وقال في الأموال : (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده اليك – آل عمران ٧٤) لأن في الاولى معنى العدوان وفي الثانية معنى التصرف وان كان يجوز ان يقال (لا آمنه على هذا المال) بمعنى التسلط والاستحواذ . « وقيل ان معنى قولك أمنتك بدينار أي وثقت بك فيه وقولك : (أمنت عليه) أي جعلتك أميناً عليه وحافظاً له » (١) .

واما البيت فانه قد يوقع الشاعر حرفا موقع حرف آخر ومع ذلك فالمعنى محتمل المغايرة فقوله (أربّ يبول الثعلبان برأسه) كأنه جعل رأسه وعاء بال فيه . وقوله (لقد هان من بالت عليه الثعالب) معناه من علته الثعالب ببولها من فوق الى اسفل فكسته اياه .

ونحو ذلك ماذكر عن الاستعلاء بـ (عن) وذلك نحو قوله تعالى :

(١) التفسير الكبير ٨/١٠٠ .

(ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه – محمد ٣٨) فقد ذكر أن (عن) هنا بمعنى (على) . وقيل بل هي على بابها والمعنى يبعد الخير عن نفسه بالبخل (١) .

وهو أولى وذلك ان ثمة فرقاً بين قولك (يبخل على نفسه) و (يبخل عن نفسه) . فقولك (يبخل على نفسه) معناه ان عاقبة بخله تعود عليه كقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت – البقرة ٢٨٦) لما كانت العاقبة سوء جيء بعلى وكقوله تعالى : (انما بغيكم على انفسكم – يونس ٢٣) .

ويحتمل معنى آخر هو أنه لاينفق على نفسه اي يثقلها بالبخل فكأن البخل حمل يعلوه . وأما بخله عن نفسه فمعناه أنه يبخل منصرفاً عن نفسه أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها فان البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الانفاق فانه لها .

قيل ومن هذا المعنى قوله تعالى (إني احببت حب الخير عن ذكر ربي – ص ٣٢) .

« أي قدمته عليه . وقيل هي على بابها وتعلقها بحال محذوفة أي منصرفاً عن ذكر ربي » (٢) .

وكذلك ماقيل عن الاستعلاء بالكاف نحو قولهم (كن كما انت) فقد قبل ان المعنى : كن على ماانت .

واظن ان كونها للتشبيه ظاهر أي كن مثلما انت عليه الآن لا تغيرّ أي لتشبه حالتك في المستقبل حالتك الآن (٣) .

---

(٢) التصريح ١٥/٢ .
(٣) المغني ١٤٧/١ .
(٤) المغني ١٧٦/١ وانظر حاشية الصبان ٢٢٥/٢ .

وكذلك الاستعلاء باللام نحو قوله تعالى -(ويخرون للأذقان سجداً — الاسراء ١٠٧) وقوله : (وان اسأتم فلها — الاسراء) (١) .

أما قوله (يخرون للأذقان) فليس المعنى والله أعلم (على الأذقان) لأن هناك فرقاً بين قولك خر على وجهه وخر لوجهه . فخر على وجهه معناه سقط على وجهه واما خرّ لذقنه فمعناه أنه خر حتى بلغ في ذلك الذقن ، أو الاختصاص اي حتى خص ذقنه بذلك .

وقوله (وان اسأتم فلها) معناه انكم لم تسيئوا لأحد وانما اساءتكم لكم أي خصصتم انفسكم بالاساءة . جاء في (الكشاف) في تفسير هذه الآية : « أي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بأنفسهم لايتعدى النفع والضرر الى غيركم . وعن علي رضي الله عنه : ما احسنت الى أحد ولا أسأت اليه : وتلاها » (٢) .

ومنه قوله تعالى -(دعانا لجنبه — يونس ١٢)- قالوا بمعنى على جنبه . ولا أرى انها بمعنى (على) بل هي للاختصاص وإيضاح ذلك ان (على) وردت في القرآن الكريم مع الجنب مرتين قال تعالى : (ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض — آل عمران ١٩٠ — ١٩١) .

وقال : -(فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة — النساء ١٠٢)- فجاء بلفظ (على) في هاتين الآيتين .

---

(١) المغني ٢١٢/١ .
(٢) الكشاف ٢٢٥/٢ .

وجاء باللام في هذه الآية : (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما – يونس ١٢) .

وسر ذلك والله أعلم انه إذا مس الانسان الضر دعا ربه ملازماً لجنبه أوقاعداً أو قائماً . فان الانسان اذا مسه الضر اكثر مايلازم جنبه ثم القعود ثم القيام فذكر هذه الحالات بحسب الترتيب فقال (لجنبه أو قاعداً او قائماً) في حين أخر ذكر الجنب في غير هؤلاء فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) فقدم القيام في حالة العافية ثم القعود ثم الاضطجاع على الجنب فخالف بين حالتي الضر والعافية ، فقدم الجنب في حالة الضر وأخر القيام ، وقدم القيام في حالة العافية وأخر الاضطجاع على الجنب .

وجاء باللام الدالة على الاختصاص في حالة الضر بمعنى ملازم لجنبه . وجاء بـ (على) الدالة على الاستعلاء في حالة العافية بمعنى مضطجع على جنبه .

ونحوه الاستعلاء بـ (من) نحو قوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا – الانبياء ٧٧)- فقد قيل ان (من) ههنا بمعنى (على) .

والذي اراه انهـا ليست كذلك فان هنـاك فرقاً في المعنى بين قولك (نصره منه) و(نصره عليه) فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء عليه والغلبة قال تعالى : (ويخزهم وينصركم عليهم – التوبة ١٤) وقال :

-(فانصرنا على القوم الكافرين – البقرة ٢٨٦)- أي مكنا منهم – وليس هذا معنى نصره منه .

اما (نصرناه منهم) فانه بمعنى نجيناه منهم أو منعناه منهم قال تعالى : (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم – هود ٣٠) فليس المعنى من ينصرني على الله بل من ينجيني ويمنعني منه ؟

وقد تقول : ما الفرق بين قولنـــا (نجيناه من القوم) وقولنا (نصرناه من القوم) ؟

والجواب ان التنجية تتعلق بالناجي فقط فعندما تقول : (نجيته منهم) كان المعنى انك خلصته منهم ولم تذكر انك تعرضت للآخرين بشيء كما تقول (أنجيته من الغرق) ولا تقول (نصرته من الغرق) لأن الغرق ليس شيئاً يُنتصف منه .

اما النصر منه ففيه جانبان : جانب الناجي وجانب الذين نُجّي منهم فعندما تقول (نصرته منهم) كان المعنى انك نجيته وعاقبت اولئك او اخذت له حقه منهم .

ومما يدل على ان (من) ههنا ليست بمعنى (على) قـــوله تعالى : (وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم – هود ٣٠) وقوله (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا – غافر ٢٩)- اذ لايصح ان تكون بمعنى (على) كما هو واضح .

يتبين مما مر أن المعاني المشتركة في حروف الجر ليست متماثلة بل يبقى لكل حرف خصوصيته ومعناه في اداء المعنى المشترك والله اعلم .

★ ★ ★

مراجع البحث

- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي – المطبعة البهية – مصر .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني – دار إحياء الكتب العربية .
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الازهري – دار احياء الكتب العربية .
- شرح رضي الدين الاسترابادي على الكافية لابن الحاجب .
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش طبع ونشر ادارة ادارة الطباعة المنيرية .
- كتاب الأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي – مطبعة النعمان – النجف الاشرف .
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق – نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م) .
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري – مصور على طبعة بولاق .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة ١٣٨٦ هـ .